البناء
السنة السابعة / السبت / 7 تشرين الثاني 2015 / العدد 1927
Seventh year / Saturday / 7 November 2015 / Issue No. 1927

ولأن في التاريخ بدايات المستقبل...

تُخصّصُ هذه الصفحة صبيحة كل يوم اثنين، لتحتضنَ محطات لامعات من تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي، صنعها قوميون اجتماعيون في مراحل صعبة من مسار الحزب، فأضافوا عبرها إلى تراث حزبهم وتاريخه التماعات نضالية هي خطوات راسخات على طريق النصر العظيم.

وحتى يبقى المستقبل في دائرة رؤيتنا، يجب أن لا يسقط من تاريخنا تفصيل واحد، ذلك أننا كأمّة، استمرار مادي روحي راح يتدفق منذ ما قبل التاريخ الجلي، وبالتالي فإن إبراز محطات الحزب النضالية، هو في الوقت عينه تأكيد وحدة الوجود القومي منذ انبثاقه وإلى أن تنطفئ الشمس.

كتابة تاريخنا مهمة بحجم الأمة.

حول دعوة دي ميستورا إلى وقف إطلاق النار

■ حميدي العبدالله

بعد لقائه المسؤولين السوريين في دمشق تحدّث المبعوث الأممي ستيفان دي ميستورا عن الحاجة إلى خطوات تمهيدية لخلق مناخ إيجابي لحوار بين الحكومة والمعارضة، ودعا إلى خطوات إيجابية بينها وقف إطلاق النار.

دعوة دي ميستورا إلى وقف إطلاق النار تعني واحداً من أمرين، الأمر الأول أنه منفصل عن الواقع السوري، ويعيش في عالم آخر لا يدرك فيه أبسط ما يجري على الأرض. الأمر الثاني أنه يدرك ما يجري على الأرض ولكنه يتعمّد التعمية والتضليل.

أولاً، من يدعو إلى وقف إطلاق النار في سورية عليه أن يحدّد بين مَن ومَن... ومَن هي الجهات المعنية بذلك.

إذا كان المقصود وقف إطلاق النار بشكل عام، فعلى فرض استجابت الدولة لذلك، وقرّرت الالتزام وأوقفت إطلاق النار، فهل تلتزم التنظيمات المسلحة، وتحديداً تنظيما «داعش» و«جبهة النصرة» والعشرات من التشكيلات الأخرى التي لا تعترف بجهود الأمم المتحدة، ولا بأيّ جهد سياسي، وتصرّ على الاستمرار في الخيار العسكري، وإذا لم تلتزم هذه التنظيمات بوقف إطلاق النار فكيف يمكن للجيش السوري الالتزام به؟

رُبّ قائل إنّ دي ميستورا لا يقصد بوقف إطلاق النار الجماعات المتطرفة التي ترفض مبدأ الحلّ السياسي، وبينها «داعش» و«النصرة» والتنظيمات الأخرى المرتبطة بتنظيم «القاعدة»، بل ما يسمى بالتنظيمات «المعتدلة»، أو «الجيش الحر»، لكن أين هي المنطقة التي تسيطر عليها المعارضة «المعتدلة»، أو فصائل «الجيش الحر»، ولا وجود فيها لتنظيمات «القاعدة»، سواء كان تنظيم «داعش» أو «جبهة النصرة»، أو غيرهما من التشكيلات التي تنتمي سراً إلى تنظيم «القاعدة»؟

ألا يدرك دي ميستورا هذه الوقائع؟ الأرجح أنه يدرك وعلى اطلاع جيّد عليها، ولكنه مع ذلك يتجاهلها في سياق حملة دعائية سياسية هدفها إحراج الدولة السورية، ومحاولة تحميلها مسؤولية استمرار المواجهة العسكرية.

لا يمكن الطلب من الدولة السورية وقف إطلاق النار مع الجماعات المسلحة التي تسيطر على الأرض والتي ترفض الولايات المتحدة وقف إطلاق النار معها، وتشكل التحالفات من أجل ضربها، وبطلب إلى الدولة السورية وقف إطلاق النار مع هذه الجماعات.

كلّ جهة تطالب اليوم بوقف إطلاق النار أولاً في سورية، ولا تطالب بالقضاء على الإرهاب قبل ذلك تكون دعوتها لوقف إطلاق النار إما أنها دعوة غير واقعية، أو هدفها الإحراج السياسي للدولة السورية، ومحاولة إظهارها بمظهر المصمّم على رفض الحلّ السياسي.

مملكة آل سعود تتخبَّط بين المخدرات وتعمية الحقائق

وكأنّ أزمات آل سعود السياسية التي افتعلوها في هذا العالم العربي لا تكفيهم ليضعوا أنفسهم في مواقف لا يُحسدون عليها. فهذه العائلة التي شكلت باسمها مملكة ذات طابع إسلامي بات عليها اليوم مواجهة حقيقتها من دون مواربة وهي اليوم أمام مشهد لم يكن ممكناً أن نشهده منذ سنوات.

فقدت المملكة احترامها وسمعتها بين معظم الدول العربية الجارة، وأخذت الفضائح تلاحقها من الدول التي كانت تعتبر نفسها وصية عليها وراعية لها، وهي بالتحديد كانت متدخلة في شؤونها ومتعدّية على سيادتها، لكنها ارتضت يوم لم يكن هناك صوت يسمع ولا بندقية ترفع في وجه الظلم.

وجدت السعودية نفسها اليوم أمام مؤتمر صحافي مؤثر أعدته إدارة قناة الميادين من بيروت وهي التي تعرف جيداً ماذا يعني انطلاق الحدث من بيروت، وخصوصاً إذا كان إعلامياً. وتشهد على هذا القلق رسائل إلى السفير السعودي في لبنان نقلتها «ويكيليكس» يحرص فيها على الإعلام وقدرته على نشر وترويج الأفكار والمشاريع إلى الخارج. لذلك دأبت السفارة السعودية على دعم وسائل إعلامية لبنانية عدة، ووفرت لها أموالاً طائلة من أجل حفظ صورتها عند المشاهد العربي، أما اليوم فقد فات الأوان.

لم تستطع وسائل الإعلام اللبنانية المدعومة سعودياً، حجب الأخبار التي أصبحت عناوينا وهي دعسات ناقصة سعودية في حقّ الإعلام، وأبرزها الضغوط على قناة الميادين لإقفالها والضغط على الحكومة اللبنانية للتخلي عن احتضان مبنى القناة على أراضيها.

تبدو السعودية هنا عديمة الخبرة بالأصول الإعلامية، وهي التي لم تعرف يوماً تقديس الحريات، ولا تدرك أنّ ما تطلبه من لبنان استحالة وهو الذي يمتاز بديمقراطية الفكر وحرية التعبير، وقد خرجت على شاشاته الأصوات والآراء كلها، من دون استثناء لدى تغطية أحداث العالم العربي حتى أنها وجدت فيه موالين لها ومعادين. كلّ يُعامل على أساس حقه في التعبير.

وقعت السعودية، التي تتخبط اليوم بفضائحها، بين فكي كماشة أمام العالم كله وكلّ إعلامي وصحافي ومشاهد للقنوات استخف بسذاجة سياساتها التي لن تستطع تعمية حقيقة ضعفها المتدحرج يوماً بعد يوم، وخصوصاً في جبال ووديان اليمن، حيث حفرت العائلة قبرها بيدها من دون أن تعلم، وإن بقيت سنوات تكابر.

قناة الميادين التي مثلت صوت المقاومة وفلسطين والشعبين الجريحين في سورية واليمن، تؤكد اليوم أنها باقية بالزخم نفسه، وأنها مستمرة وجاهزة لتكون تحت القانون، إذا طلبت الحكومة اللبنانية أي إجراء، متحدثة عن بدائل لن تسكت صوتها بتاتاً.

وهنا فإنّ السعودية لم تستفد شيئاً من الفضيحة التي أثارتها، مقابل هذا الصمود الذي لم تتوقعه من القناة وإدراتها والأهم البلد الذي ساهم اليوم في نشر الخبر، على أوسع نطاق، ولم تستطع تشويه احتضانه هذا الحدث وإضعاف قدرته على جذب الجمهور العربي بسرعة إلى كلّ ما يجري فيه. وبالتالي تقف المملكة أمام واقعها الذي تعرت أمامه من دون أن تردّ بشيء وهي غير قادرة على ذلك حتى.

فضائح السعودية أيضاً، وصلت إلى حدّ عدم إدانة أميرها مهرب المخدرات الذي لا يزال محتجزاً في لبنان وهي عاجزة تماماً عن مواجهة الفضيحة من بيروت مجدّداً، فهي غير قادرة على الدفاع عن الأمير ولا إخراجه من سجنه، رغم محاولاتها التي فشلت عندما اصطدمت ببعض القضاء النزيه في البلاد الذي لم يخضع لابتزازها بتاتاً.

كبرياء المملكة الذي أدخلها في حرب ضارية في اليمن، التي رفضت الديبلوماسية وتقبل الآخر، أي الطرف الذي يطلب حقوقه السياسية والمعيشية، هي نفسها التي ترفض تقبل الآخر إعلامياً وهي نفسها التي ترفض إدانة أميرها الذي كشف حقيقة العائلة الفاسدة التي لم تقف مستنكرة، حتى للفكرة.

المملكة تتخبط ومزيد مما اقترفته يداها سيطفو على السطح، هزائم وسقطات، إن لم تتدارك لحفظ ما بقي من ماء وجهها.

«توب نيوز»

«النصرة» بين فكّي «داعش»

– ليس خافياً أنّ بين «النصرة» و«داعش» في قلب دموية الصراع على وراثة جسد «القاعدة» تناغم غير معلن بين من يستعدّ ليكون شريكاً في السياسة، وبين من يكون هدفاً للحرب والحبل السري تركي.

– منذ فيينا بدأت أشياء كثيرة تتغيّر وأهمّها الصفقة الأميركية التركية التي جاءت بفوز أردوغان سواء بالأصوات المجيّرة من غولن، او بالتغاضي عن الانتهاكات، وبعدها وضع مصير «جبهة النصرة» على لائحة الحرب بقوة الحضور الروسي العسكري.

– سقط مبرّر بقاء «النصرة» تنظيماً مستقلاً مثلها مثل كلّ متفرّعات «القاعدة»، وقد انتهت لعبة تسويقها كشريك سياسي وحصر الحرب بـ«داعش».

– تجري حرب سحق «النصرة» على بعد مرمى حجر من الحدود التركية شمال سورية ولا ردّ فعل.

– «داعش» يلتقط اللحظة لتوحيد البندقية ويبدأ خطة السيطرة على «النصرة».

– تفجير عرسال أول الغيث.

– جسم المقاتلين الأجانب ومستودعات السلاح والمال والجغرافيا رصيد بيد «النصرة» فقد وظيفته فيجري نقله إلى يد «داعش».

– بالطريقة «الإسرائيلية» التي عرفها لبنان في مجازر الصفرا لتوحيد البندقية سنشهد التحاق قوات «النصرة» بالدواعش.

– السباق بين سيف الحسم و«داعش».

التعليق السياسي

مواقف وعِبر لرفقائنا الأسرى في ستينيات القرن الماضي

عندما يتحوّل الاعتقال والتعذيب والسجن إلى مدرسة فكرية

لبيب ناصيف

في نبذات سابقة، تحدّثنا عن التعذيب الذي طال الرفقاء الذين شاركوا في الثورة الانقلابية، وبعضهم مضى تحت التعذيب أو صفي في أمكنه مجهولة، وتحدثنا في النبذة بعنوان السجن ـ المدرسة[1] عن كيف تحوّل السجن في القبه «طرابلس» ثم في القلعة» بيروت» إلى مدرسة، ووحدات إنتاج.

من كتاب «سفينة حياتي» للأمين منير خوري نورد معلومات فيها عبر وأمثولات، وزاد للمستقبل.

التعذيب

«... بعد الاستقبال الرسمي، أودعوني أحد «القواويش» مع حوالى أربعين موقوفاً، تعرفتُ إلى عدد غير قليل منهم. أما ما لفتني فور دخولي ذلك القاووش، فهو شاب محطم الجسد، يسيل الدم والقيح من فمه ورأسه وعينيه وأذنيه، مشهد لن أنساه طيلة حياتي».

«كان بعض الرفقاء يقومون بمساعدته بين الحين والآخر في محاولة للتخفيف من آلامه التي كان يكتمها بصبر وجلد نادرين، من دون أن يتفوّه بكلمة آه أو أي نوع من أنواع التذمّر. ولما سألتُ بعض الشباب، مَنْ هذا الذي أراه؟ ابتسم أحدهم، وقد عرفني، ثم قال همساً: «بعد ما شفت شي يا حضرة الأمين. هذا المشلول الذي تراه أمام عينيك الآن هو واحد من العشرات الذين ينالون حصتهم من هذه الوحشية يومياً». كان ذلك الشاب، شبه المشلول، هو جبران الأطرش الذي اشتهر بطاقته وقوته على تحمل العذاب بصبر وجلد لا مثيل لهما».

في المحكمة
الأمين محمد بعلبكي

«في 11 شباط بدأ الأمين محمد بعلبكي دفاعه بالتعليق على الوثيقة المزوّرة التي عممّت على وزارة الخارجية، والتي بدَؤُها حرفياً: «من آمن بالإسلام فهو كافر، ومن آمن بالمسيحية فهو أكفر، ومن آمن بلبنان، فهو ليس منّا» قائلاً: «نحمد الله على أننا برئنا من هذه التهمة، ونحمد الله أيضاً على أن حضرة المدعي العام أكد أن تلك الوثيقة المزوّرة التي نسبت إلينا تتحدّث عن الكفر بالأديان ولبنان، لا وجود لها في ملف الدعوى. ولكننا، بكل إخلاص كنا نتوقع من الحق العام في لبنان أن يكون حقاً عاماً لا حقاً خاصاً، أن يلاحق الذين دبّروا تزوير هذه الوثيقة ونشرها في بعض الصحف وعلى أبواب الكنائس والجوامع، بل توزيعها أيضاً بواسطة سفارات لبنان في الخارج وعلى جميع أقطار المعمورة». ثم انتقل إلى موضوع مشاركته في المحاولة الانقلابية الفاشلة، فقال: «أحب في مطلع هذا الباب أن أذكر لكم وللرأي العام كله أن رئيس الحزب القومي الاجتماعي الدكتور عبدالله سعاده لم يكن وحده المسؤول عن اشتراك الحزب في محاولة الانقلاب الفاشلة، وإنما أقول أننا نشاركه في ذلك، نحن معظم المسؤولين في مؤسسات الحزب، وأنا منهم».

«ورداً على الاتهام بالتآمر على لبنان قال بصراحة وجرأة: «المتآمر هو من لا يتآمر على هذا النظام».

وأيضاً رداً على تبجّح البعض بالولاء للبنان قال: «ليس كل من قال يا رب يدخل ملكوت السموات».

ورداً على الذين يأخذون علينا تحيّتنا السورية، ذكّر الأمين بعلبكي بما قاله نسيب المدعي العام اللبناني الأستاذ نبيه البستاني بأن علماً من أعلام النهضة الفكرية والعلمية، ومترجم الإلياذة، عنيت به سليمان البستاني قال في حنينه إلى وطنه سورية: «ذكرت لبنان وهاج فؤادي العاني، لذاك العرين. فهل ترى يفسح آني الأجل، حتى به تغمض المقل وأرض سورية محط الأمل».

الرفيق موسى مطلق ابراهيم

«أما الرفيق موسى مطلق ابراهيم، الفلسطيني الجنسية، «المحمدي الديانة»، العميق الثقافة، فصريح وصراحته ساطعة وقاطعة كحدّ السيف، أذهل رئيس محكمة التمييز إميل أبو خير، عندما استشهد في دفاعه بما ورد في الإنجيل حول قصة السامري الصالح. وكان ذلك رداً على ما كان يثيره النائب العام نبيه البستاني أنّ الذين اشتركوا في المحاولة الانقلابية هم من الغرباء عن لبنان.

وقف الرفيق موسى مطلق ابراهيم وتوجّه إلى رئيس المحكمة قائلاً: «ضرب إله من بلادي مثلاً، وهو يعلم الناس على المواطنيه الصالحة قال: «كان لاوي مسافراً من أريحا إلى أورشليم، فصادفه بعض اللصوص، فسلبوه دابته وما كان معه وضربوه وجرحوه، وأوثقوه، وتركوه ملقى على قارعة الطريق. فمرّ به لاوي وجاز عنه ولم يكترث به، ومرّ به صدوقي فجاز عنه أيضاً ولم يكترث به، ومرّ به فريّسي فجاز عنه ولم يكترث به. وأخيراً مرّ به سامري فنزل عن دابته وفك وثاقه ومسح جراحه بالزيت والخمر، وأركبه على دابته ومضى به إلى خان على الطريق. وهناك أنزله وأعطى صاحب الخان دينارين أجرة بقائه عنده حتى يشفى.

وقال متسائلاً بعد ذلك: «أيهم أقرب إلى اللاوي الجريح؟ فقالوا الذي عمل معه خيراً»، ثم أنهى كلامه: سيدي الرئيس: «في أثناء فتنة لبنان قاتلت دفاعاً عن لبنان، وقتل أخي[2] إلى جانبي وسلاحه في يده. وأنا لا يضيرني ولا يضير الحزب أن أكون سامريّاً من فلسطين ما دام الحزب جعل مني مواطناً صالحاً».

روى لي الأمين ميشال خوري الذي كان شارك في الثورة الانقلابية وكانت مهمته الإفراج عن الأمين شوقي خير الله الذي كان موقوفاً في ثكنة الفياضية[3] أن الأمين عبد الله سعاده وقف بعد انتهاء الأمين موسى من كلمته وحيّاه، رافع اليدين.

السجن المدرسة

«في نهاية شهر شباط 1964 نقلنا إلى سجن طرابلس في حي القبة حيث أمضينا ثلاث سنوات سُجلت فيها أروع التحديات الإيجابية. كان عددنا مئة وخمسين تماماً، أما الذين صدر عليهم الحكم بالإعدام فكانوا ثمانية: العسكريون الثلاثة: شوقي خير الله، فؤاد عوض، وعلي الحاج حسن. أما المدنيون فكانوا خمسة: عبد الله سعاده، محمد بعلبكي، بشير عبيد، جبران الأطرش، ومحسن نزهه. توزعوا جميعهم على زنزانات سجن الرمل.

في مذكراته «أوراق قومية» ذكر الدكتور سعاده في حديثه عن السجن في طرابلس تحت عنوان «السجن المدرسة وكيف حوّلنا ذلك السجن المجزرة، إلى «السجن المدرسة» إلا أن الصورة التي ذكرها الدكتور سعاده ظلت ناقصة ولو أنها تعطي فكرة صادقة عما سماه «السجن المدرسة»، مع بعض الثغرات هنا وهناك تستحق الإشارة والتوضيح. وهنا لا بد لي من العودة قليلاً إلى الوراء، أي قبيل اعتقالي عندما كنت، كما ذكرت سابقاً، خبيراً إقليمياً للأمم المتحدة في شؤون التنمية الريفية بحكم عملي يومها، كانت فلسفة النهوض بالمجتمعات المحلية الريفية (المتحدات الريفية) وبالقرى خصوصاً، تشدّد على أهمية الاهتمام بالشؤون الاقتصادية ـ الاجتماعية وضرورتها لكل من هذه المتحدات، وتحويلها إلى خلايا منتجة عملياً وعلى حد تعبير الزعيم سعاده إلى مجتمعات إنتاجية «فكراً وصناعة وغلالاً». وكان هاجسي منذ اعتقالي في ثكنة الأمير بشير في بيروت، وأنا أشاهد عدداً كبيراً من الرفقاء السجناء منهمكين في حياكة السلع الخرزية الملونة في شكل بدائي، كيف نستطيع رفع هذا العمل البدائي إلى مستوى راقٍ؟

وعندما تسلمت مسؤولية رفقائنا المساجين في طرابلس من الأمين مصطفى عزّ الدين الذي كان ساعدي اليمنى في مسؤولياتي القيادية هناك، بدأت الفكرة تتطور تدريجياً بحسب المنطلقات الآتية:

أولاً: كان الشعار الأول والأساسي الذي أطلقناه، وطلبنا من الجميع التقيّد به هو: «كل سجين منتج» فكراً، فناً كان أم صناعة.

ثانياً: كل غرفة (قاووش) يجب أن تصبح «وحدة تعاونية» إنتاجية.

ثالثاً: تنوع الإنتاج يتوقف على الطاقات المتوافرة عند الرفقاء: مهارات فنية، تعليمية، لغوية، صناعية خفيفة تتوافر فيها المواد الأولية في السجن.

رابعاً: تشكيل لجنة فنية من الرفقاء الموهوبين، مهمتها وضع تصاميم لجميع الأشغال الفنية: خرزية، خشبية من رقائق الخشب الدقيق غير الممنوع في السجن، موزاييك من قشر البيض وغيرها من المواد المتوافرة وغير الممنوعة في السجن.

خامساً: يطلب من جميع المهتمين بالأعمال الفنية التقيّد بهذه التصاميم التي يهيئها الفريق الفني.

سادساً: في الإنتاج الفكري ـ الأكاديمي ـ اللغوي، يُطلب إلى كل قومي سجين يتقن اللغة الإنكليزية أو الفرنسية أو العربية أو أي مهنة من المهن الأكاديمية كالمحاسبة ومسك الدفاتر، وغيرها أن لا يتردّد في تعليم الرفقاء في غرفته الذين يودونه في أي حقل من هذه الحقول.

سابعاً: يؤخذ خمسة في المئة من قيمة كل قطعة منتجة مادياً (هذا بعد أن يصبح الإنتاج ذا مردود مادي) خصوصاً المنتجات الخرزية والموزاييك المصنوعة من قشرة الخشب أو قشرة البيض.

ثامناً: توضع هذه الضريبة في صندوق التعاونية العام، في إشراف إدارة السجن.

يفرح القلب، أنه لم يمر سوى بضعة أشهر، حتى أصبح السجن خلية إنتاجية حقيقية، ولم يشذ عن هذا البرنامج سوى شخصين فقط. لم يمرّ وقت طويل حتى بدأ المردود المادي للإنتاج، من جزادين خرزية، ولوحات فنية على أنواعها، ونرابيش أراكيل، وغيرها، يسدّ قسماً كبيراً من الحاجات المادية من طعام وأدوية ولباس. أكثر من ذلك، شرع بعض السجناء النشيطين إنتاجياً، في مساعدة أهاليهم في حدود ثلاث مئة ليرة شهرياً، (وكانت القوة الشرائية لليرة اللبنانية في أوج مجدها).

ساعدنا عدد كبير من أصدقاء وصديقات للحزب بجد وإخلاص في بيع تلك السلع إلى المحلات التجارية والبيوتات اللبنانية[4]. وبلغت حصيلة ما جمعناه من الضريبة على القطع المنتجة حوالى ثماني مئة ليرة، أودعت الصندوق العام عند إدارة السجن. كانت هذه القيمة مخصصة لتغطية النفقات لبعض الرفقاء من أدوية وأمور شخصية متنوعة.

علمت، بعد خروجنا من السجن أن جمعاً من الرفقاء الذين تعلموا على أيدي رفقائهم من حاملي الشهادات الثانوية، أو الجامعية، أموراً، كاللغات الإنكليزية والفرنسية والعربية، وأموراً أخرى كأصول «مسك الدفاتر» والمحاسبة، وغيرها استطاعوا التوظّف في عدد من الشركات والمؤسسات التجارية.

ما أن اندلعت الحرب بين «إسرائيل» والدول العربية في صباح الخامس من حزيران 1967 حتى قفزت همومنا القومية إلى الواجهة ونسينا هموم السجن والعفو، ونظرنا إلى الآمال القومية التفاؤلية المرتقبة التي كنا نأملها ونحلم بها. كان ذلك سراباً بسراب إذ بعد بضعة أيام معدودة أي في التاسع من حزيران سمعنا الهزيمة الكارثة وانتصرت «إسرائيل» فيها وسيطرت في جبهاتها الثلاث مصر وسورية والأردن. ما زلت أذكر آثار الصدمة على رفقائنا دون استثناء خصوصاً ونحن نستمع إلى خطاب التنحي الذي كان يلقيه عبد الناصر. كان حزبنا على خصام سياسي مع الرئيس عبد الناصر وكان لنا معه جولات إعلامية سياسية والكثير من المواقف العدائية السلبية. ورغم ذلك أظهر الرفقاء القوميون في السجن في الوجدان والممارسة موقفاً مشرّفاً، على خلاف ما انتظره وتوقعه بعض الأطراف منا. يقول الأمين الدكتور سعاده في هذه المناسبة: «لقد خيّم الوجوم على الدرك جميعاً، وبعد ساعة تقريباً أتاني الرقيب أول صادق، وهو محمدي، يقول: «دكتور، أنتم جماعة كبار يصعب على أمثالنا فهمكم، كنا نتوقع في محدوديتنا أن نراكم مثل بعض هؤلاء الحرس المسيحيين في حال انشراح لهزيمة عبد الناصر، فإذا بكم أكثر منا ألماً، وأبعد وعياً، فأرجوك أن تقبلوا اعتذارنا عن جهلنا وتأكدوا أنكم إخوتنا ونحن مستعدون لتقديم أي مساعدة تطلبون».

هوامش

(1) السجن المدرسة: للاطلاع على النبذة الدخول إلى أرشيف تاريخ الحزب على الموقع التالي www.ssnp.info

(2) استشهد الرفيق سعيد، شقيق الرفيق موسى مطلق ابراهيم في معركة ايعات صيف العام 1958. مراجعة أرشيف تاريخ الحزب على الموقع المذكور آنفاً.

(3) لا بد أن نذكر بكثير من التقدير، الدور الذي قامت به الرفيقة ليلى الجدع، وكنت كرئيس لمكتب الطلبة على تواصل معها. كانت تهتم باستئجار جناح في كثير من المعارض، لأشغال الرفقاء الأسرى، وكان رفقاء ورفيقات من الطلبة الجامعيين والثانويين يؤمنون دواماً يومياً.

(4) شارك معه في المهمة، الرفقاء: أوغست حاماتي، جوزف عقل الياس وعادل أندراوس.

الرفيقة سوريا كرم المهتار

ل.ن.

من المستحيل الإحاطة بكامل دور المرأة القومية الاجتماعية على مدى سنوات الصراع القومي الاجتماعي. فكيف إذا أضفنا إليها دور المواطنات من أمهات وزوجات وشقيقات، وما سطرن من تفان ووقفات عز. هذا الواجب يصحّ أن تقوم به لجنةٌ تاريخ الحزب، إنما هو أيضاً من واجب فروع الحزب والرفقاء المنتشرين في الوطن وعبر الحدود، ففي كل فرع مرويّات من رفيقات مناضلات وعن مواطنات سطرن ملاحم من التعاطي الرائع. وإذا كنا في كثير من النبذات أشرنا إلى ذلك إنما تبقى أقل بكثير مما يجب أن يُكتب.

في النبذة عن معتقل «المية ومية» تحدثنا عن الرفيقة سوريا المهتار التي كانت تتوجه على دراجة هوائية إلى معتقل «المية ومية» كي تؤمن حاجات زوجها المعتقل الأمين عجاج المهتار.

إني وقد عرفت الرفيقة سوريا عندما قطنت والأمين عجاج في رأس بيروت، وتعرفتُ إلى ما ينبض في داخلها من معاني الالتزام القومي الاجتماعي، ومثلي تعرّف عدد من رفقاء ورفيقات كانوا يترددون إلى المنزل... يدفعني الواجب إلى أن أقدم هذه الإفادة المتواضعة عنها، آملاً وداعيا الرفقاء إلى أن يحرّروا معلوماتهم عن امرأة تميّزت في تاريخ الصراع القومي الاجتماعي، وابنها الرفيق أسامة المهتار إلى أن يُغني المكتبة القومية الاجتماعية بمآثر الأمين عجاج النضالية، وبمؤلف يغطي سيرته ومسيرته إلى جانب الرفيقة سوريا. هما حالة مضيئة في حزبنا لا يجوز أن يغيب نورها عن أجيال الحزب والأمة.

***

عقب رحيل الرفيقة سوريا كرم المهتار نشرتُ في العدد 2029 تاريخ 1/7/2000 من مجلة «البناء – صباح الخير» الكلمة التالية:

« أن تهتم فتيات اليوم بالعمل السياسي العام، أن تنتمين إلى أحزاب ومنظمات، تحملن السلاح وتقاتلن وتستشهدن، وأن تدخلن السجون والمعتقلات، فهذا أمر لم يعد يستوقفنا كثيراً، على أهميته. أما أن يحصل ذلك في أوائل الثلاثينات عندما كانت المرأة حبيسة المنزل، والعادات والتقاليد، ومع ذلك تنضم إلى حزب يقاتل الأجنبي المحتلّ ويعمل لوحدة أمته ونهضتها، فتساق إلى التحقيقات، تدخل السجون، تتوارى، تلاحَق وتتحدى.

أما أن تكون الرفيقة جمال ناصيف أول امرأة في بلادنا تستدعى إلى التحقيق بجرم العمل السياسي، وأن تستدعى رفيقات من عائلات بيروت المحافظة، كالرفيقة نعم فاخوري، وتعتقل والدة الرفيقين كامل ورفيق أبو كامل مع ابنيها، وغيرهن وغيرهن.

أما أن تنشأ مديريات تضم الرفيقات، فمنفذية للسيدات في بيروت، وتقوم الرفيقة بدورها كالرفيق، تتحمل المسؤوليات الحزبية في أوجّ حالات الاضطهاد والملاحقة والسجون وتتولى تنفيذ المهمات في أحلك الظروف.

أما أن تصعد في الحزب رفيقات وأمينات يرتفعن منارات عز وفخر، وكنّ مثالاً للشجاعة والإيمان.

فهذا وذاك ليس أمراً بسيطاً عادياً لا يستوقف أحداً ولا يلفت أي متتبع.

الرفيقة سوريا المهتار كانت من أولئك الرفيقات اللواتي عرفن النضال القومي الاجتماعي المرير والشاق إلى جانب الرفيق، فلا تفرقة إلا بالمظهر، ولا فارق بين رفيق ورفيقة، إلا بما ينبض كل منهما إيماناً ووعياً والتزاماً.

إلى جانب الأمين عجاج المهتار عرفت معنى أن تكون المرأة القومية الاجتماعية مناضلة، معه أنشأت عائلة قومية اجتماعية، تهجّرت معه، عانت معه، كابدت، ومعه بقيت صامدة، مؤمنة، صلبة، تشّع محبة وصفاءً وقدوة، وتسير على درب النضال فلا تعرف تراجعاً ولا يأساً، بل تزداد إيماناً وفرحاً بما هي عليه، وتبقى تسير.

يحكى عنها أنها كانت تتوجه على دراجة عادية إلى معتقل «المية ومية» قرب صيدا حيث تعتقل السلطات الفرنسية زوجها الأمين عجاج المهتار والعديد من المسؤولين المركزيين والأمناء والرفقاء. يحكى أنها كانت تنفذ مهمات صعبة قد تعرّضها للاعتقال، فلا عرفت قدماها تردداً، ولا نظراتها الوجل.

يحكى أن الحزب سكنها في الأعماق، فكان ملازماً لها حياة وعائلة وزوجاً ونضالاً مطلقاً.

يحكى أنها كانت النموذج الحيّ لكيف تكون قومياً اجتماعياً وكيف هو إنسان سعاده... تلك هي الرفيقة سوريا المهتار، إحدى مناراتنا التي بها نقتدي ونعتز ونفخر، وبها نقول للعالم: إذا أردتم أن تعرفوا ما هو الحزب فانظروا إلى مناضليه، وإذا رغبتم أن تدققوا في ما حقق هذا الحزب فانظروا إلى سوريا المهتار، وإلى مثيلاتها من رفيقات، وانظروا إلى الأمين عجاج المهتار وإلى أمثاله من رفقاء، فتدركون عظمة هذا الحزب، وعظمة ما حقق.

الرفيقة سوريا،

لكِ في قلب كل قومي اجتماعي مساحة لا تنتهي من الحبّ والتقدير. شكراً لك تقولين لنا كل يوم: هذا هو حزبكم وها أنذا. ونقول بكِ للجميع هؤلاء هن رفيقاتنا، وبهن نصعد نحو المنتهى.

رفيقة سوريا

تبقين معنا، من كان مثلك يستمر في حياتنا ولا يغيب.

وأنتِ باقية

***

عُرف عن الرفيقة سوريا اتقانها صنع أشكال فنية رائعة من مادة الشمع وكانت رفيقات ومواطنات يترددن إليها ليتعلّمن تلك الصنعة.

وكثيراً ما شهدت المعارض جناحاً خاصاً لأعمال الرفيقة سوريا، كان يستقطب اهتمام الكثيرين من الزوار، وإعجابهم.

***

نشر الرفيق أسامة المهتار هذه المعلومات عن والدته الرفيقة سوريا، ننقلها بالنص الحرفي:

« في 31 تموز 1915 ولدت سيريا إسبر كرم في قرية زبوغا في المتن الشمالي من جبل لبنان– سورية. وقد سماها جدي، بو عساف إسبر كرم، سيريا لأنها أول مولودة له تولد في الوطن ـ سورية، بعد عودته من البرازيل حيث كان قد أنجب عساف وسلمى وإيراساما. طبعاً، هذا كله كان قبل أنطون سعاده، وقبل تأسيسه للحزب السوري القومي الاجتماعي.

في ذلك الوقت كان لبنان جبلاً في سورية، لا أكثر.

انتمت إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي وكان لا يزال سرياً، وفيه التقت الأمين عجاج المهتار حيث تزوّجا وأمضيا حياة مليئة بالمحبة والفرح والعطاء رغم الصعوبات والسجن والعذاب. الجدير بالذكر، أنهما كانا من أول من كسر حواجز الطوائف في البلاد فكانا بذلك قدوة للكثيرين من الشباب الذين غلبوا الحب على حقد الطائفيين وعمى المذهبيين.

مآثرها الحزبية كثيرة، إحداها أنها كانت المسؤولة عن البريد السرّي من وإلى معتقل «المية ومية» الذي كانت تزوره مرة كل أسبوع لمدة سنتين، على الدراجة من بيروت.

توفيت ليلة تحرير الجنوب، في 25 أيار سنة 2000.

***

كان الأمين عجاج المهتار في سجن الرمل والرفيقة سوريا في زندان نظارة مخفر البرج.
فكانت قصيدته «انتي أنا»

انتي أنا جسمين صرنا بفرد روح
بقلب طافح بالمحبة والوفا
وين ما راح القدر فينا يروح
مشعال بجنون العواصف ما انطفى

انتي أنا فراشات عجناح الهوى
خلي الحسود يذوب عتراب العدم
قبل الدني وسكانها نحنا سوا
والبرج لمن راد يفصلنا انهدم

انتي أنا بالليل عمطل القمر
غنية الشلال عصفات الهدير
صوت الحقيقة ولحن ذايب عالوتر
زقزوقة العصفور عحفافي الغدير

انتي أنا مطاعيم بكروم الشفق
زهر الغصون الخضر بالحقل الوسيع
قلب المحبة الخالدة فينا خفق
دم الشهيد البكر بورود الربيع

انتِ أنا عصفات روح مجنحة
بتكشّح الغيمات وبترعى النسور
وقمار بحواض الزهور مفتحة
عجوانح النحلات ومواج العطور

انتِ أنا ويلات حمرا مكرره
عجفون عذرا مكحّله بدمع الفرح
دم العريشه تحت زغل المعصره
دفقات خمر الكرم عشفاف القدح

انتِ أنا عالشيح خيط الشرنقة
بندِ العلم عالحصن بجدايل حرير
كومة سبل بغمار ورد مبشنقه
عبيادر الحصاد والموسم كبير

انتِ أنا صوت البلابل عالقنا
تفسير حلم العبقري ومعنى الدروس
شمعات آذار الحلو بعرس إلهنا
دقات لحن العاطفة بقلب العروس

انتي أنا لفحة هدير الزوبعة
بعصفاتها روح الفساد بتقلع
زلزال صاخب في لهيب المعمعة
كفّ القدر بتهدّ وبتبني قلع

انتي أنا لمعات من هاك الشعاع
بالعتم دلينا المسافر عالطريق
بالزورق المسحور وحبال الشراع
منباطح الموجات منشيل الغريق

انتي أنا بين الأفاعي والوحوش
بالحبس بالزندان بالعتمات نور
بالمعركة صواريخ ورصاص الجيوش
بالوعر بالأدغال منفجر صخور

انتي أنا عينين ما بترضى تنوح
عجفونها المخرز بري والصخر لان
وقلب ثاير كلكلوا بقلبو الجروح
وتقصّفت عمراوحو سيوف الزمان

انتي أنا طراطيش دمّات الشهيد
ثورات عالغدر الخسيس البربري
روح الخميره الفايره بموسم جديد
ضو الرجا وتفسير حلم العبقري